بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}[الأحزاب:23]

قيض الله لهذه الأمة رجالاً يحملون همَّ الدين، يتركون الدنيا وزينتها، لإعلاء رايتي الحق والدين.

وحديثا اليوم عن رجل فتح الله على يديه القدس، فانتصر على الصليبيين في موقعة حطين، شخصية لا زال أثرها بارزا حتى يومنا هذا، أعادت الهيبة للأمة الإسلامية، في وقت كانت الأمة تعاني التفكك والانحلال، إنها شخصية(صلاح الدين الأيوبي) رحمه الله تعالى، يوسف بن أيوب والمكنى(بأبي المظفر)، والحديث عنه ضرورة تتطلبها المرحلة لأمور منها:

1-لأن فلسطين والأمة كلها اليوم في محنةٍ أشبه بما كانت عليه قبل مجيء صلاح الدين.

2-لأن الأمة اليوم ضلت طريق الهدى، وتركت طرق الصلاح والاصلاح، وأصبحت غثاء كغثاء السيل، وأذاقها الله الذل والهوان.

3- لأن أمتنا في حاجة إلى من تقتدي به في عصرٍ قَلَّت فيه القدوات، واحتلت فيه المقدسات، وتفرقت فيه الأمة إلى دويلات.

4-لأن الأمة تنتظر مثيلاً لصلاح الدين؛ يعيد لها عزتها ووحدتها، ويحرر مقدساتها، ويعيد مجدها.

5-لأن استقراء التاريخ أمر ضروري لتعرف الأمة كيف انتصر السلف؛ ليسير على طريقهم الخلف.

6- لأن التفاؤل بالنصر أمر مطلوب، فمهما علت دولة الباطل فإنها إلى زوال؛ فلا داعي لليأس والقنوط، فنحن بحاجة إلى شحذ الهمة، ونبذ الخلاف، وحسن التوكل على الله تعالى.

لم يكن صلاح الدين من أصل عربي بل كان من عائلة كردية كريمة الأصل، ولد في تكريت، وهي بلدة تقع بين بغداد والموصل، ثم هاجر به أبوه من تكريت إلى الموصل

نشأ هذا الطفل نشأة مباركة، فتربى على الفروسية، وتدرب على السلاح، ونما في قلبه حب الجهاد، وقرأ القرآن الكريم وحفظ الحديث الشريف.

كانت حياة صلاح الدين الأيوبي من معركة إلى معركة، وكانت معركة حطين من معاركه التي كتبت على صفحات من ذهب، وسُطرت له على جبين التاريخ.

وكان يقول: ((كيف يطيب لي الفرح والطعام ولذة المنام وبيت المقدس بأيدي الصليبيين؟!)).

كان صلاح الدين يرى أنه لا يتوجب عليه الهجوم على القدس، بل أن عليه أن يعمل على تحرير كافة المدن الساحلية أولا ثم يحرر القدس، فبدأ بتحرير عكا ثم نابلس والقيسرية وحيفا و الناصرة وصفورية، وغيرها من المدن آملا في الوصول لبيت المقدس، وحين وصل لبيت المقدس كان قد استطاع إضعاف قوة جيش الصليبيين.

فعسكر أمام أسوار القدس، وقاتل المسلمون بضراوة، فشعر الصليبيون بخطورة موقفهم وبعدم قدرتهم على مواجهة المسلمين، وقرروا الاستسلام وطلب الأمان، وهنا تجلى موقف صلاح الدين الذي يشهد له التاريخ حتى الآن، حيث قام بالسماح لهم بمغادرة المكان سلميا ودون قطرة دم واحدة، وأمّن حياة أهل الكتاب الساكنين في المكان.

وهكذا أكرم الله صلاح الدين بفتح بيت المقدس في 27 رجب عام 583هـ، وقام القاضي محيي الدين ليخطب أول جمعة بعد قرابة مائة عام، وكان مما قال مخاطبًا صلاح الدين وجيشه: فطوبى لكم من جيش! ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية، والوقعات البدرية، والعزمات الصديقية، والفتوحات العمرية، جددتم للإسلام أيام القادسية، والوقعات اليرموكية، والمنازلات الخيبرية، والهجمات الخالدية، فجزاكم الله عن نبيكم صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء)).

لم يكن صلاح الدين الأيوبي ممن يبحث عن ألقاب زائفة، أو دنيا زائلة، لكنه كان داعية حق، ورجل معركة، وصاحب عقيدة، ومن ثَم فلم يكن انتصاره صدفة أتته، أو حظًّا أدركه، وإنما كان قدر الله بعد الأخذ بالأسباب ومنها:

1-تقوى الله والاحتراس من المعاصي: فقد كان خاشع القلب، غزير الدمعة، إذا سمع القرآن الكريم خشع قلبه ودمعت عينه، ناصرًا للتوحيد، قامعًا لأهل البدع، لا يؤخر الصلاة، وكان إذا سمع أن العدو داهم المسلمين خرَّ ساجدًا لله قائلاً: (إلهي! قد انقطعت أسبابي الأرضية ولم يبق إلا الإخلاد إليك، والاعتصام بحبلك، والاعتماد على فضلك، أنت حسبي ونعم الوكيل)

ومن جميل ما ذكر عنه أنه كان يواظب على سماع الحديث، حتى سمع جزءًا من الحديث وهو واقف بين الصفين، وقال في ذلك: (هذا موقف لم يسمع أحد في مثله حديثًا).

2- الاعداد الكامل والاهتمام بقضية التحرير: فبلغ من اهتمامه ألا يجعل لنفسه سكنًا، بل خيمة تضرب بها الرياح مع الجنود، فاهتم بصناعة الأسلحة، وبناء السفن، وتركيب الألغام والمجانيق، وغيرها من أدوات القتال.

3-توحيد البلاد: وهوما صنعه من يوم أن ولي وزارة مصر، وأسندت إليه سلطنتها، حيث رفض المذهب الشيعي، وأبطل الدعاء للخليفة الفاطمي وجعله للخليفة العباسي.

4- لم يكن هدفه من القتال إعلاء صيته و الثناء عليه، وإنما كان إعلاء لكلمة الله!! كان يقول: (في نفسي أنه متى ما يسَّر الله تعالى فتح بقية الساحل، قسَّمتُ البلاد، وأوصيتُ، وودعت، وركبتُ هذا البحر إلى جزائره، أتبعهم فيها حتى لا أُبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت).

وبعد أن حقق هدفه توفاه الله تعالى كما مات من سبقه من البشر من الأنبياء والمرسلين والدعاة والمصلحين، إذ مرض -رحمه الله- في 16 صفر 589هـ، ووافته المنية في 27 صفر 589هـ.

ولئن كانت روحه قد فارقت جسده، وانتقل عن دنيا الناس، إلا أن أعماله الخالدة حيّة يذكره الناس بها في كل آنٍ، ويتطلع الناس إلى مثلها في كل مكان، فالوضع هو الوضع والحال هو الحال!

فما أشبه الليلة بالبارحة! وما أشبه اليوم بالأمس! فالأمة ممزقة إلى أجزاء و دويلات، في كل دويلة حاكم وسلطان، وفي كل بلد راية، واعتزاز كل ذي موقف بمكانه، وإعجاب كل ذي رأي برأي، كل ذلك مع ضياع القدس وانتهاب فلسطين، وانتهاك الحرمات وهتك الأعراض، وقتل الأطفال، ودك البيوت .فهل للمسلمين من صلاحٍ جديد يصلح الدنيا بالدين، ويجدِّد للناس دينهم ؟ !نسأل الله ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين